محاضرة بعنوان :

أسباب غلاء الأسعار وأسباب تغير أحوال الناس المعيشية

للشيخ الفاضل /

أبي عبدالله عبدالرحمن بن عبد المجيد الشميري

كانت في مسجد المجاهد

٤ محرم ١٤٤٠

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس نحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسر لنا هذا اللقاء المبارك بأبائنا وإخواننا في هذا المسجد وفي هذا المجلس الذي نسأل الله عزوجل أن يتقبله وأن يجعلنا ممن قال عزوجل فيهم وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيٍ والمتباذلين فيّ، واشكر أخانا المقدم الأخ الفاضل عبد العليم جزاه الله خيرا على حسن ظنه بي، فلقد أثنى ثناء لا أستحقه ولكن أسأل الله أن يغفر لي وله، نحن نعرف قدر أنفسنا مقصرون والله، ولكن إخواننا يحسنون الظن بنا.

الذي أحب أن أتكلم به مع إخواني في هذه الليلة حول موضوع مهم جداً، نحن بحاجة إليه كثيراً، فإن العقوبات تأتي وكثير من الناس لا يرجع ولا يتضرع ولا يدري لماذا تأتي وينطبق على كثير من الناس قول

الله عزوجل {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)} [المؤمنون:٧٦].

أيها الإخوة الكرام إن الموضوع الذي أحب أن أتكلم به معكم هو أسباب غلاء الأسعار، وأسباب تغير أحوال الناس المعيشية.

اعلموا بارك الله فيكم أن الأسعار وأمور الناس المعيشية بيد الله جل وعلا، وكل شيء بقضاء وقدره، ولهذا قال النَّاسُ يا رسولَ اللَّهِ ، غلا السِّعرُ فسعِّر لَنا ، قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله وسلَّمَ : **إنَّ اللَّهَ هوَ المسعِّرُ القابضُ الباسطُ الرَّازقُ ، وإنِّي لأرجو أن ألقَى اللَّهَ وليسَ أحدٌ منكُم يطالبُني بمَظلمةٍ في دمٍ ولا مالٍ** "أخرجه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وأحمد (١٤٠٥٧)عن أنس رضي الله عنه،وهو في الصحيح المسند لشيخنا الإمام الوادعي رحمه الله تعالى،

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. غلا السعر يا رسول الله فسعر لنا، قال: إن الله هو المسعر، الله هو المسعر الأسعار بيد الله، الأسعار بقدر الله، غلاؤها بقدر الله، ورخصها بقدر الله، ولكن

لغلائها أسباب، ولارتفاعها أسباب، ولتغير أحوال الناس المعيشية من حسن إلى أسوء أسباب، أسباب ينبغي بل يجب علينا أن نعرف هذه الأسباب حتى نحذرها، حتى يغير الله عزوجل حالنا إلى الأحسن.

إن أعظم سبب لتغير الناس تغير أحوال الناس المعيشية لهي الذنوب والمعاصي المنتشرة في زماننا هذا، فلقد افتتح الشر على مصراعيه، افتتح باب الشر على مصراعيه، افتتح الشر، افتتح الدبور، افتتحت الذنوب والمعاصي وكثرت وتساهل فيها الناس إلا من رحم الله، تساهلوا في الشركيات، تساهلوا في البدع، تساهلوا في الزنا، تساهلوا في اللواط، تساهلوا في الفواحش، تساهلوا في اختلاط الرجال بالنساء، تساهلت كثير من النساء فتكشفن وتعرين وذهبن إلى أماكن الرجال يختلطن في الحدائق وغير ذلك من المنتزهات، افتتح باب الشر، افتتحت باب الذنوب والمعاصي، وتساهل كثير من الناس، وبعدها يصيحون غلا السعر، وبعدها يصيحون تغيرت الأحوال إلى الأسوأ، وبعدها يصيحون

ويولولون، وما يعلمون أنها ذنوبنا ومعاصينا سببت لنا هذا، قال الله جل وعلا{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)} [الشورى:٣٠].

وقال سبحانه {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم:٤١].

ظهر الفساد ما المقصود بالفساد هنا؟ قال المفسرون: المقصود بالفساد هنا فساد المعايش ظهر في البر والبحر، كانت معايش الناس في السابق طيبة، كانت معايش الناس بسبب طاعة الله طيبة، لو أننا رجعنا إلى الله وآمنا واتقينا فوالله ثم والله ثم والله لأعطانا الله البركات، ولأنزل علينا البركات، قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)} [الأعراف:٩٦].

وقال الله تعالى{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} [المائدة:٦٥-٦٦].

وقال سبحانه {وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦)} [الجن:١٦].

فالله عزوجل إنما يصلح أحوال الناس إذا رجعوا إلى الله، اذا اتقوا الله بارك لهم في أرزاقهم، بارك لهم في معايشهم، سهل لهم سبل الرزق، يسر لهم سبل الرزق بتقواه والرجوع إليه، قال الله تعالى {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق:٣].

وقال الله تعالى{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)} [الطلاق:٤].

ولكن الذنوب والمعاصي ما تسبب إلا الشر، ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، بعض ولم يقل كل، لماذا؟ لعلهم يرجعون، الله عزوجل يذيقنا غلاء السعر من أجل نرجع

إليه، الله عزوجل يذيقنا تغير الأحوال المعيشية من أجل أن نرجع إليه، من أجل أن نوحده، من أجل أن نقبل على طاعته، نقبل على صلاتنا في بيوت الله، نقبل على طاعة ربنا، نقبل على التمسك بسنة نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم، نرجع إلى الله رجوعا صادقاً، فوالله أن الله عزوجل سيرحمنا وسيبارك لنا في أرزاقنا وفيما أعطانا.

نعم أيها الناس، ربنا سبحانه وتعالى يقول {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد:١١].

إذا غير الإنسان ما في نفسه من طاعة إلى معصية غير الله ما به، إذا غيرت الأمة ما في نفسها من طاعة الله إلى معصية الله غير الله ما بها من نعمة، ومن راحة ،ومن رغد عيش، ومن أمن، ومن استقرار، وغير ذلك، إلى ضد هذه الأمور، إلى جوع، إلى خوف، إلى عدم استقرار، إلى قلق، إلى انزعاج، كل هذا بسبب الإعراض عن دين الله، وعن طاعة الله سبحانه وتعالى، ولقد ضرب الله عزوجل لنا مثلاً بقرية أهل مكة، قال الله جل

وعلا عنهم {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)} [النحل:١١٢].

أهل مكة الله عزوجل ضرب هذا المثل فيهم، وضرب الله مثلاً قريةً، وهي مكة كانت قريش في نعمة، كانت في أمن، كانت في استقرار،{وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}

قال الله عزوجل {أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)} [القصص:٥٧].

حرم آمن يجبى إليه ثمرات كل شيء، رزق من الله سبحانه وتعالى، استجاب لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، وارزقهم من الثمرات، فرزقهم الله من الثمرات، ويجبى إلى مكة من كل الثمرات التي معروفة لدينا وغير معروفة لدينا، يجبى إلى مكة، نعم أيها الناس نعمة من الله، هذه النعمة ما شكروها، بل كفروها، وأعظم نعمة كفروها بعثة رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، فلقد بعث الله اليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكذبوه، وآذوه، وعادوه وردوا دعوته، فالله سبحانه وتعالى غير ما بهم، ودعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وشدة وجوع حتى اكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط مع دمه، أكلوه، جلد البعير مخلوط مع دمه يذبحونه ثم يأكلون الجلد من شدة الجوع، ،جوع شديد أصابهم، بسبب كفران النعمة، بسبب الذنوب والمعاصي،{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ}

جوع شديد أكلوا الميتة، أكلوا العلهز، أكلوا كل ما وجدوا حتى إنه كان بعضهم يرى مثل الدخان من شدة الجوع في السماء فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف، خوف أيضاً بدل ما كانوا آمنين صاروا خائفين وذلك أنه لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة صاروا متخوفين

من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، متى سيغزوهم؟ فكانوا مترقبين خائفين قلقين، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف ما السبب؟ بما كانوا يصنعون، بسبب الذنوب والمعاصي، بما كانوا يصنعون، فالحذر الحذر من الذنوب والمعاصي، {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [يوسف:١١١].

الله سبحانه وتعالى قص لنا قصص أُناس تغيرت أحوال معيشتهم من حسن إلى أسوء، ولنأخذ بعض هذه القصص التي قصها الله عزوجل علينا بالقرآن، فأولى تلك القصص هي قصة أصحاب الجنة الذين قال الله عزوجل عنهم {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} في سورة (ن) ذكر الله عزوجل لنا قصة أصحاب الجنة

إنا بلوناهم: اختبرناهم

كما بلونا أصحاب الجنة: أي كما اختبرنا أصحاب الجنة، أصحاب الجنة أصحاب بستان بستان طيب، بستان مشتمل على أنواع من الثمار والفواكه، بستان جميل جداً{ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧)} [القلم:١٧].

إذ أقسموا : أي حلفوا .

أقسموا بالله ليصرمنها: أي ليجدنها مصبحين وقت الصباح حيث لا يراهم فقير، وحيث لا يراهم أحد، وحيث لا يدخل عليهم أي مسكين، فهم يريدون أن يحرموا المساكين من حقهم، حق المساكين والفقراء يريدون أن يحرموهم من هذه النعمة التي أنعم الله عزوجل بها عليهم وهي هذه الجنة، من أجل أن يتوفر لهم ثمارها فمن أجل هذا أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون: أي لا يستثنون في حلفهم هذا، لم يقولوا إن شاء الله، بل أقسموا جازمين بذلك فجاءت العقوبة الربانية

بسبب أنهم بيتوا النية السيئة وهو حرمان المساكين من حقهم{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩)}

نزلت آفة سماوية وهم نائمون فأخذت أرضهم، وأخذت جنتهم، فأصبحت كالصريم: أي كالليل الأسود، سوداء مدلهمة لا ينتفع منها بشيء، {فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)}أي نادى بعضهم بعضا في وقت الصباح{أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢)} اغدوا على مزرعتكم، اغدوا إلى جنتكم إن كنتم تريدون الصرام، إن كنتم تريدون الجذاذ، إن كنتم تريدون القطع، فاغدوا،{فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣)} انطلقوا وهم يتخافتون: أي يتكلمون فيما بينهم سراً حيث لا يسمعهم أحد، لكن الله يسمعهم، لكن الله عزوجل أخبر بما تساروا به {أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤)}يعني لا يدخل عليكم اليوم أي فقير من أجل أن يتوفر لكم ثمرها، جذوها وقت الصباح ولكن لا

أحد يعرف حتى لا يأتي أي مسكين يدخل عليكم فلا تعطونه فتنقص عليكم الثمرة {وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)}

غدوا على حرد: أي على قوة وعلى شدة قادرين عليها كما يزعمون {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا} تفاجؤوا هذه جنتنا؟ هذا بستاننا؟ ما هذا صارت سوداء مدلهمة بعد أن كان فيها النضارة، فيها الزهرة، فيها الجمال، فيها الرونق، أصبحت الآن سوداء مدلهمة لا ينتفع منها بشيء {فَلَمَّا رَأَوْهَا}تفاجؤوا{قَالُوا إِنَّالَضَالُّونَ (٢٦)}أي نحن قد ضللنا الطريق، أخطأنا الطريق، ربما سلكنا الطريق غير الطريق، ثم بعد ذلك راجعوا أنفسهم بأنفسهم وتيقنوا أن هي جنتهم قالوا{ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)}يعني بعد أن تأكدوا قالوا{ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) }يعني لا حظ لنا ولا نصيب{ قَالَ أَوْسَطُهُمْ} أي أفضلهم وأعدلهم وخيرهم{أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)}أي هلا تسبحون الله، وتشكروه على ما أنعم به عليكم، فتحمدون ربكم

وتؤدون الحق الذي عليكم{قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)}سبحان ربنا ،الآن رجعوا، الآن أتوا بالطاعة لكن حيث لا ينفع، الآن اعترفوا بالذنب، اعترفوا بالخطيئة { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ}أي يلوم بعضهم بعضا، في أنهم قد عزموا على حرمان المساكين من حقهم، فعزموا على أن يحرموا المساكين من جنتهم{قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ}أي إنا قد اعتدينا، إنا قد بغينا، إنا قد جاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا{عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا}أي في الدنيا، وقيل إنهم احتسبوا ثوابها في الآخرة قالوا {إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)} قال الله عزوجل{كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ}أي عذاب الله عزوجل لمن خالف أمره، هذا عذاب الله عزوجل لمن بخل بما آتاه الله، وبما أنعم الله عزوجل عليه، هذا عذابنا{ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ}لعقوبة الآخرة أعظم من عقوبة الدنيا{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)}.

وقد ذكر بعض السلف أن هذه القرية هي قرية في اليمن، قال سعيد بن جبير: هي قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء، وقال بعضهم هي جنة في أرض الحبشة كانت لرجل من أهل الكتاب وخلف لبنيه هذه الجنة، وكان والدهم يسير فيها سيرة حسنة بحيث أنه ما خرج من هذه الجنة أرجع إليها ما تحتاج إليه، وادخر لعياله قوت سنتهم، وتصدق بالباقي، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يعطي شيئاً منها للفقراء فنحن سنمنعهم حتى يتوفر علينا ثمرها فحصل نقيض ما قصدوا، فما ربحوا، ولا تصدقوا، ولا كذلك أيضاً سلمت جنتهم، ولا سلمت مزرعتهم ولا بستانهم وجنتهم، ما سلم من الأصل، لا أصل ولا ربح ولا صدقة ولم يبق لهم شيء، وهذا كله بسبب تلك النية السيئة التي بيتوها، وهذه القصة قصة إسرائيلية لا تصدق ولا تكذب ولكن يكفينا ما قصه الله عزوجل علينا في القرآن أنهم تخافتوا فيما بينهم أن لا

يدخلنها اليوم عليكم مسكين، فهذا هو ذنبهم، وغير الله معيشتهم إلى الأسوء بسبب هذا الذنب الذي فعلوه.

قصة أخرى قصها الله عزوجل علينا حتى نعتبر، وحتى نعلم ما هو السبب في تغير أحوال الناس المعيشية من حسن إلى أسوء، يقول الله عزوجل في سورة الكهف {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ} بستانين جميلين من أعناب{وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} أي جعلنا هاذين البستانين محفوفين بالنخل{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا}أي كلتا الجنتين أخرجت ثمرها{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا}يعني كل واحد من الجنتين موفر فيها كل مافيها من الثمر، نخيل، أمور طيبة، يعني عيشة من أحسن المعايش{وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)} الأنهار في هذين البستانين مفجرة من الأرض، متفرقة هاهنا وهاهنا، من أحسن ما يكون الماء موجود، والبستانان والجنتان فيها من كل أنواع الثمار، وفيها من كل أنواع الأمور الطيبة التي تشتيها الأنفس في البساتين،

وفي الجنات، وفي الزورع، وفي الثمار{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا} أي ولم تنقص منه شيئا{وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} كان له ثمار طيبة،{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} أي وهو يجادله، وهو يخاصمه{ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)}أنا أكثر منك مالاً، أنا أكثر منك خدماً، أنا أكثر منك حشماً، غرور والعياذ بالله، كبر وغرور على صاحبه المسكين الذي ما أنعم الله عزوجل عليه بمثل ما أعطاه، لكنه ما شكر النعمة كفر وافتخر واغتر وأعجب{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}ظالم لنفسه بالكفر والشرك، بالمعصية، بالكبر، بالغرور، بالإعجاب{قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥)} يعني ما أظن أن هذه الجنة تتلف، ما أظن أن هذه تهلك، ما أظن أن هذه الجنة تضمحل، هذا قليل عقل جداً{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}يعني أنكر حتى المعاد، أنكر البعث، أنكر النشور، إلى هذا وصل به الغرور والإعجاب نسأل الله العافية{ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)}يعني سأجد

عند ربي ماهو أفضل وما هو أحسن وما أعطاني هذا إلا لأنني كريم عنده أعطاني هذه النعمة التي أنا فيها{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي} أنا ما أقول مثل مقالتك هذه، أنا موحد لربي، أنا معترف لربي بالواحدانية والربوبية{ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}أي هلا إن دخلت جنتك فنظرت ما فيها من النعمة فحمدت الله وشكرت الله وأديت ما عليك من الواجبات وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أي أن هذا بمشيئة الله، وأن هذا بقوة الله، لا بحولي ولا بقوتي، ولكنه شيء أراده الله عزوجل وشاءه{إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ} أي في الدار الآخرة، هذا رجل مؤمن، رجل يرجو ما عند الله من الثواب{ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ} أي عذاباً من السماء { فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠)}أي تراباً أملساً، بل قاعاً لا ينتفع منها

بشيء{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا} أي غائراً في الأرض{فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)}نزلت العقوبة، جاءت العقوبة من الله عزوجل، ونزلت الآفة السماوية، العذاب من الله سبحانه وتعالى بسبب الذنب بسبب الكفران بسبب المعصية، ما شكر الله ،ما حمد الله، ما أطاع الله، قد نصحه صاحبه، قد وجهه صاحبه، ولكنه أبى، فانظر إلى العقوبة{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} أحاط الله عزوجل بثماره، أحاط الله عزوجل بأمواله، أحاط الله عزوجل بما أعطاه من النعمة أحاط الله بها{ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا} قال قتادة أي يصفق كفيه، متأسفاً متلهفاً على ما أذهبه فيها من الأموال، يعني قد خسر فيها أموالا كثيرة{ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)} لكن هيهات هل ينفع هذا الآن ؟ لا ،الآن وقد كنت من المفسدين، هذا مفسد من قبل، هذا عاصي، الآن رجع، الآن تمنى أنه ما يشرك، ما ينفع{وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ} قبل يقول أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا، الآن هل نفعه ذلك

المال؟ هل نفعه كثرت ماله؟ نفعه كثرت عشريته وأولاده؟ هل نفعه؟ لا ،{وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ} عشيرة ولا ولد{يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ}هنالك الولاية: أي هنالك كل مؤمن ،أو كل كافر عند أن يأتي العذاب الكل يوالي الله، الكل يخضع لله،{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)} الأعمال التي هي لله هي خير ثواباً، ثوابها عظيم عند الله ،وعاقبتها حميدة عند الله وخير عقبى، هذه القصة ذكرها الله عزوجل لنا في القرآن لنعتبر، لنتعظ، لنعلم ما هو السبب في تغير أحوال الناس المعيشية من حسن إلى أسوء،الذنوب،المعاصي،الشركيات،المخالفات،انتهاك الحرمات،انتهاك الشهوات،نعم أيها الناس، لنتق الله، لنرجع إلى الله جل وعلا.

قصة أخرى ذكرها الله عزوجل في سورة سبإ، وهي قصة أصحاب سبإ، كان سبإ ملوك اليمن، معروفون أنهم أصحاب ملك، وأصحاب نعمة، وأصحاب جنتين{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ}جنتان فيهما

أنواع الثمار، فيهما أنواع الزروع، فيهما اتساع في الأرزاق، اتساع في الثمار، نعمة عظيمة يتنعم به أهل اليمن، يتنعم بها أصحاب سبإ أرسل الله إليهم الرسل ،بعث الله إليهم الرسل يأمروهم بالتوحيد، يأمروهم بشكر النعمة، يأمروهم بالأكل من الطيبات{كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)} أبوا ،أعرضوا ،كفروا،أشركوا،تركوا عبادة الله، واستبدلوها بعبادة الشمس والعياذ بالله، استنكر عليهم هدهد سليمان عليه الصلاة والسلام، الهدهد مر عليهم وهم يعبدون الشمس استنكر، وذهب إلى سليمان يقول له{إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)} [النمل:٢٣-٢٦].

فلما أعرضوا عن عبادة الله إلى عبادة الشمس، ولما لم يشكروا الله عزوجل على نعمه، ولما لم يحمدوا الله عزوجل على نعمه قال الله عزوجل{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ } سيل عظيم جاء وصدم بماء السد حتى انساب الماء في أسفل الوادي وخرب أبنيتهم، وخرب زورعهم، وخرب أشجارهم، وخرب ثمارهم، وتفرقت أيادي سبإ شذر مذر، تفرقوا في البلدان، وتشتتوا في البلدان، ومزقهم الله كل ممزق، بسبب الذنوب والمعاصي، بسبب الكفران كفران النعمة، بسبب أنهم ما أطاعوا الله، أعرضوا عن طاعة الله ،أعرضوا عن عبادة الله{ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ}أكل خمط: الأراك، والأراك هو البرير ثمر الأراك. ذواتي أكل خمط وأثل: شجر معروف ما يستفاد منه إلا السقوف ونحو ذلك من الأمور،{وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)}يعني هذا أحسن ما عندهم السدر وهو قليل ما السبب في هذا؟ ما السبب في هذا التغير العظيم من جنتين عظيمتين؟ من نعمة عظيمة؟

من اتساع أرزاق؟ إلى هذه الحالة السيئة ما السبب؟ {ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا}هذا هو السبب{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)}هذا هو السبب عباد الله، الكفور الذي يكفر النعمة، الذي يجحد آلاء الله ونعمه، الذي لا يطيع ربه هذا جزاؤه، الذي يشرك بالله هذا جزاؤه،{ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)}

فيا إخواني في الله لنرجع إلى الله، لنرجع الى الله، لنطيع ربنا جل وعلا حتى يغير الله عزوجل حالنا إلى الأحسن.

نختم بقصة أيضاً فيها عبرة لنا، هذه القصة وقعت لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام، الله جل وعلا أدخله الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، جنة لا يتعب فيها، لا يظمأ، لا يجوع ،لا يعرى، لا يحصل فيها أي تعب، لا يحصل فيها أي مشاكل، نعم وحذره الله عزوجل من أن يأكل من شجرة ولكنه أكل من تلك الشجرة، بسبب أن الشيطان وسوس له ،فالله سبحانه وتعالى غير هذه المعيشة التي كان فيها

وهي أنه كان في جنة عرضها السماوات والأرض إلى أن أهبطه إلى الأرض وصار يعاني تعبها، وصار يعاني مشقتها، وصار يعاني عناءها، وطلب الرزق فيها، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦)فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧)} [طه:١١٥-١١٧].

أي فتشقى بطلب الرزق، تتعب تشقى في طلب الرزق، تتعب في طلب الرزق، تتعنى بطلب الرزق، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ،هذا تحذير من رب العالمين لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام، لأمنا حواء عليها الصلاة والسلام{فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧)إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨)وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩)فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠)فَأَكَلَا مِنْهَا} أكلا من تلك الشجرة التي حذرهم الله عزوجل من

الأكل منها{ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا}أي عوراتهما{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ}

أي أخذا يأخذان من ورق الجنة ليسترا عوراتهم، وقيل كهيئة الرقاع، يعني أخذوا من الأوراق ويفعلون لهم كهيئة الرقاع حتى يستروا العورات عوراتهما{ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا}كلكم اهبطوا، إبليس، وآدم عليه الصلاة والسلام، وأمنا حواء عليها الصلاة والسلام، الكل يهبطوا إلى أرض العناء، إلى أرض التعب، إلى أرض الإبتلاء{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)}..الآيات.

الشاهد من هذا أن الله عزوجل غير حال أبينا آدم وأمنا حواء عليهم الصلاة والسلام المعيشية من حسن إلى أسوء بسبب أنهما أكلا من شجرة نهاهم الله عزوجل من أن يأكلا منها، وربنا سبحانه وتعالى غير ما بهم

من هذا الحال الحسن جنة عرضها السماوات والأرض لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحى إلى دار يتعب فيها بطلب الرزق ،ويتعنى فيها،لكنها المخالفة، فيا أيها الناس لنحذر من مخالفة شرع الله جل وعلا، مخالفة الشرع ما ينفع، مخالفة طاعة الله ماتنفع،ما ينفعنا والله أننا نخالف شرع الله، والله ما نجني من وراء ذلك إلا الشر والدبور، فلنرجع إلى ربنا ،ولنكثر من الاستغفار،ولنكثر من التوبة،ولنرجع إلى الله جل وعلا، حتى يرزقنا الله عزوجل البركات من السماوات والأرض، اسأل الله عزوجل أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى، نسأل الله عزوجل أن يغير ما بنا إلى الأحسن، نسأل الله عزوجل أن يغير حال المسلمين إلى الأحسن في أمور دينهم وفي أمور دنياهم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابةجدير،سبحانك اللّٰهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فرغها أبو عبدالله زياد المليكي.